

دراسة تاريخية عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية

د. أوريل بحر الدين

قسم تعليم اللغة العربية - جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية ملانق

أولا : المقدمة.

أحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه، وأشكره على إعانته وتيسيره، وأصلى وأسلم على قائد دربنا وأسوتنا محمد على آله وأصحابه، وبعد :

إن اهتمام الإنسان باللغة على وجه العام يرجع إلى عصور قديمة منصرفه، فقد سجل لنا التاريخ اهتمام الأمم والشعوب وبلغتهم وعنايتهم بقضاياهم.

وفي الغرب مثلا ظهرت مدرستان مشهورتان أساسيتان، هما : المدرسة اليونانية واللاتينية، وكان عملهم اللغوي مرتبط بالفلسفة. وأما في الشرق، فقد تمثلت الدراسة اللغوية في المدرستين أيضا وهما : مدرسة الهنود ومدرسة العرب، وكانت الدراسة اللغوية عند منطلق عن الدافع الديني واهتمامهم بلغة كتابهم المقدس. فالهنود قد تفوقوا في الدراسات اللغوية بفضل الدراسة الوصفية للغة السنسكريتية. واعتبر كتاب بانيني (القرن الرابع ق م) طفرة في الدراسات اللغوية وبداية جادة لدراسة اللغة عندهم.^١

وأما جهود العرب في الدراسات اللغوية، ففي الفترة من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي تمثل فترة سخية في نشأة علوم اللغة عند العرب والتي نشأت تحت تأثير دافعين واضحين : (١) خدمة الإسلام والمحافظة على القرآن الكريم من اللحن وتيسير سبل فهمه وقراءته على غير العرب ممن دخلوا في الإسلام من الأعاجم، (٢) خدمة اللغة العربية ؛ للتغلب على الثنائية الموجودة في الواقع اللغوي الحي على ألسنة العرب المتمثل في تيار الفصحى واللهجات المختلفة.^٢

١ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، بيروت : دار الثقافة، ١٩٧٢م ص ٨٤

٢ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، القاهرة : دار غريب، ٢٠٠١م، ص ٧٩-٨٠

ثم إن الاهتمام بتعليم اللغة العربية في البلاد الإسلامية أمر ضروري، لأن اللغة العربية هي المنبع الأصيل لفهم العلوم الإسلامية. ومما يدل على هذا الاهتمام أن فكر القائمون على كلية الدراسات الإسلامية بجامعة أحمد دحلان - يوكياكرتا في عقد المؤتمر عن اللغة العربية، بغية الوقوف على واقعها في الجامعات والمؤسسات المعنية من ناحية، وتوضيح ما ينبغي أن تكون عليه في المستقبل من ناحية أخرى.

وفي هذه العجالة يطيب لي أن أتقدم أمامكم وأشارك في هذا المؤتمر المبارك بورقة عمل حول اللغة العربية والقرآن الكريم وهو تحت العنوان : دراسة تاريخية عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية.

وقد ركزت على المحاور الآتية في تناولي للموضوع، وهي : (١) المقدمة، (٢) وحقيقة اللغة ووظائفها، (٣) ومميزات اللغة العربية، (٤) وبعض أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، (٥) الخاتمة، وفيها خلاصة ما توصل إليه الباحث وبعض التوصيات للندوة. وأطلب من الله العون والتوفيق إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وإليكم تفصيل ذلك : -

ثانيا : حقيقة اللغة ووظائفها.

اللغة ككُرة، فهي لفظة على وزن فُعلة وأصلها لُغوة على وزن فُعلة. وقيل في جمعها : لغات، لغون. ومنها لغى يلغى، إذا هذى^١. وكذلك اللغو، فقد قال تعالى : "وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا"^٢ أي مروا بالباطل، وجاء في الحديث الشريف : "مَنْ قَالَ فِي الْجُمُعَةِ : صَبْ، فَقَدْ لَغَا، أَي تَكَلَّمَ"^٣. لقد اختلف العلماء في تعريف اللغة ومفهومها، ومن أهم التعريفات عند القدماء تعريف ابن جني (المتوفى ٣٩١هـ) بقوله : "حد اللغة أصوات يعبر

^١ لسان العرب، مادة : لغو

^٢ سورة الفرقان: ٧٢

^٣ ابن جني، الخصائص، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٩٨٦م، ٣١/١

بها كل قوم عن أغراضهم"^١. فمن تعريف ابن جني فهمنا أن اللغة حقائق لا بد منها وهي : الحقيقة الصوتية، والحقيقة الاجتماعية، ووظيفتها الأساسية التعبير عن الأغراض.

ومن بين التعريفات الحديثة للغة تعريف اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير، حيث عرف اللغة بأنها : "نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعاً من جماعته"^٢. فيعتبر تعريف دي سوسير هذا من تعاريف اللغة في علم اللغة الحديث، وقد التقى هذا التعريف مع تعريف ابن جني السابق في الحقائق الثلاثة المذكورة مع إضافة الحقيقة الأخرى وهي أن اللغة مكتسبة من البيئة أو الجماعة اللغوية التي توجد فيها اللغة.

واللغة نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى للإنسان الذي أكرمه الله بها، حيث قال تعالى : "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا"^٣، كما علم الله سبحانه وتعالى سائر المخلوقات من الحيوانات والنباتات حيث تمتلك نظاماً من الرموز والإشارات للتفاهم فيما بينها، وفي لغة الطير قال الله تعالى : "وَعَلَّمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ"^٤، ولكن لغة الإنسان تتميز بأنها ذات نظام مفتوح بينما الحيوانات الأخرى نظامها التعارفي نظام مغلق.

وإذا نظرنا إلى حقيقة لغة الإنسان، وجدنا أنها رموز صوتية، معنى ذلك أن أصل اللغة هو الكلام، وأما الكتابة فهي بديلة عن الكلام عندما لم يتمكن الإنسان أن ينطق بلسانه لبعد المسافة بينه وبين المخاطب وعدم إتاحة الوسائل لتحقيق التواصل بالكلام، فعندئذ يلجأ الإنسان إلى الكتابة، فهي محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى الظاهرة الكتابية المرئية، كما أنها أيضاً محاولة لنقل اللغة من بعدها الزمني إلى البعد المكاني، فالظاهرة الصوتية (الكلام) تتتابع في الزمن والحروف المكتوبة (الكتابة) تتتابع في المكان.

^١ المرجع نفسه ٣٣/١

^٢ محمد محمد داود، المرجع السابق، ص ٤٣

^٣ سورة البقرة : ٣١

^٤ سورة النمل : ١٦

والرموز الصوتية التي يستخدمها الإنسان للتوصل مع الآخرين في جماعتهم اللغوية محدودة، فأكثر اللغات تتعامل كل منها بجوالي ثلاثين رمزا صوتيا، وتتعامل كل اللغات الإنسانية مجتمعة بما لا يزيد عن خمسين رمزا صوتيا لكل لغة منها نصيل، ولكن هذه الرموز المحدودة تعبر في كل لغة من هذه اللغات الكثيرة عن أكثر ما يريد الإنسان التعبير عنه في كل مجالات الحياة والفكر. وتعتبر اللغة وسيلة التفاهم والتخاطب والتعبير عن ما تكنه النفس البشرية، وما يحمله الإنسان من عواطف ومشاعر تجاه الأشياء، كما أن اللغو وسيلة تبادل الأفكار والآراء والمشاعر، بل هي الركن الأول في تقدم الفكر وارتقاء الحضارة، واتساع التأليف في ميادين العلم والمعرفة.

فاللغة لا تستعمل للتعبير فقط، ولكنها تستعمل أيضا لإثارة أفكار ووجدانات عند السامع، أي إحداث استجابات عند من توجه إليه، فإذا لم تحدث اللغة استجابة عند السامع فقد فقدت وظيفتها. ويكاد أن يتفق أغلبية علماء اللغة المحدثين على أن وظيفة اللغة هي التعبير أو التواصل أو التفاهم.

ومن هنا سوف أذكر آراء بعض العلماء حول وظائف الله، وأبدأ بذكر رأي هاليداي، حيث قدّم أهم وظائف اللغة التالية^١ :

(١) الوظيفة النفعية (الوسيلية) : وهي التي يطلق عليها باسم وظيفة "أنا أريد"، أي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يشبع حاجاته ويعبر عن رغباته.

(٢) الوظيفة التنظيمية : وهي التي يطلق عليها باسم وظيفة "افعل كذا، ولا تفعل كذا"، أي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يتحكم في سلوك الآخرين لتوجيه المطالب أو النهي، وذلك واضح في اللافتات وما تحمل من توجيه وإرشاد.

(٣) الوظيفة التفاعلية : وهي التي يطلق عليها باسم وظيفة "أنا وأنت"، أي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يتفاعل مع الآخرين في مجتمعه باعتبار أن الإنسان

^١ أوريل بحر الدين، فقه اللغة العربية، مالانق : مطبعة جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية ، ٢٠٠٩م،

خلق اجتماعي، لا يستطيع أن يفرق مجتمعه، فاللغة في هذه الحالة تستخدم لتقديم التهاني في المناسبات كما تستخدم في الاحترام والتأدب مع الآخرين.

(٤) الوظيفة الشخصية : وهي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يعبر عن رؤاه الفردية الشخصية، كما يعبر مشاعره واتجاهاته نحو مواقف معينة، وكذلك يقدم أفكاره للآخرين.

(٥) الوظيفة الاستكشافية : وتسمى أيضا بالوظيفة الاستكشافية، وهي استخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يستكشف ويستفهم ويسأل عن جوانب وأشياء لا يعرفها في البيئة المحيطة به.

(٦) الوظيفة التخيلية : وهي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن ينسج الأشعارا والأغاني التي بها يروح الإنسان نفسه من تعب العمل ويشحذ همته ويدفعه إلى التقدم والإبداع.

(٧) الوظيفة الإخبارية (الإعلامية) : وهي باستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة وإلى العالم كله.

وأما محمد بن إبراهيم الخطيب فقد ذكر في كتابه "طرائق تعليم اللغة العربية" الوظائف الأساسية للغة كالتالي^١:

(١) الوظائف الاجتماعية : وتعنى أن اللغة أداة التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات، وعن طريقها يقوم العقل بجميع وظائفه، فالتفكير لا يتم بدون ألفاظ ولا لفظ بدون فكر. وتعنى أيضا أن اللغة دلالة على مدى تحضر ورفي الأمة ورياط قومي قوي لشعبها وفيها يظهر حضارة أية أمة من ثقافة ونظم وعادات وتقاليده، فهي سجل لتشريعها وأخلاقها ووسائل رقيها وفنونها المختلفة ومقياس دقيق لما توصلت إليه الأمة من تطور وارتقاء، ووحدة اللغة من العوامل التي تؤدي إلى توثيق عرى الارتباط والاتصال،

^١ محمد بن إبراهيم الخطيب، طرائق تعليم اللغة العربية، الرياض : مكتبة التوبة، ٢٠٠٣م، ص ١٤-١٦

ومن أقوى الحوافز إلى التقريب بين الأفكار والميول والغايات والأهداف فيتحقق بذلك روابط اجتماعية وقومية. كما تعنى أن اللغة وسيلة إعلام ودعاية وارتباط روحي وتهذيب ديني، حيث وسيلة الأفراد في الدعاية عن طريق الخطابة والمقالات والإذاعة والتلفاز، والإرشاد والتهذيب الروحي، وتوجيه المجتمعات إلى خيرهم في الدنيا والآخرة.

(٢) الوظائف الثقافية : وتعنى أن اللغة وسيلة لتسجيل التراث العقلي من فنون وآداب وعلوم ومخترعات فتتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل، واللغة مرآة تعكس القدرات العقلية والفكرية لما توصلت إليه أمة من الأمم، فهي عنوان الحضارة في أي عصر من العصور، ووسيلة التعليم وتحصيل الثقافات والأساس الذي يقوم عليه كسب المعارف والمهارات، ووسيلة تكيف الفرد بما يتناسب مع قيمة وقيم وعادات مجتمعه.

(٣) الوظائف النفسية : ومنها استخدامها للتأثير والإقناع وذلك بإثارة الوجدان والأحاسيس في نفس السامع، وهذا يعود إلى أسلوب المتكلم الذي يستعمل بأسلوبه المستمع فيجعله يسلك السلوك الذي يريد ويستجيب إلى رأيه، وكذلك الفرد يمكن أن يتأثر بما يقرأ كما يتأثر بما يستمع في المحاورات والمناقشات، واللغة التي تتسم بجمال التعبير قد تحدث في نفس الإنسان من الإحساس بالجمال مالا يحس به المرء في الطبيعة نفسها.

(٤) الوظائف العقلية : فاللغة تزود الفرد بأدوات التفكير، وهناك علاقة وطيدة بين الفكر واللغة لأن اللغة أداة الفكر في الوصول إلى المدركات، ومن العقبات في سبيل التفكير الفقر في الألفاظ، فالإنسان لا يستطيع أن يفكر تفكيراً كاملاً إذا لم يجد لفظاً مناسباً لكل مدرك أو فكرة، فاللغة ليست مجرد ألفاظ وإنما اللغة لها علاقة كبيرة بالتفكير، لأن التفكير عملية ذهنية ولا يمكن أن تتم بدون ألفاظ دالة على المعاني، حيث إن الفكرة إذا تحددت فلا بد لها من ألفاظ تدل عليها.

ولكل من الرأيين السابقين في تقديم وظائف اللغة مميزاته، إلا أنني أرى أن تقسيم محمد بن إبراهيم الخطيب لوظائف اللغة أكثر منهجية، حيث تندرج تحت كل وظيفة

وظائف أخرى فرعية. وعلى سبيل المثال تندرج تحت الوظيفة النفسية وظائف أخرى مثل التخيلية والشخصية وما إلى ذلك.

ثالثاً : مميزات اللغة العربية.

لكل لغة من اللغات الإنسانية خصائص تمتاز بها عن غيرها، وكذلك اللغة العربية لها مميزات تميزها عن كل لغات العالم، ويجعلها نعمة حقيقية يتمتع بها العارفون بها، والمحبون لها، منها أنها لغة القرآن الكريم التي اختار الله أن ينزل بها آخر كتبه التي سيتعبد به إلى نهاية تاريخ البشرية حيث أن هذه اللغة تتميز بالسعة والتوسع والانتشار، وهي ذات الصفات التي يتميز بها دين الله "الاسلام". فاللغة العربية لها من المفردات ما يضاهي أي لغة أخرى وفيها من المفردات ما يفضي إلى الدقة المتناهية، وبالتالي فهي أفضل وسيلة لتبليغ رسالة إلهية عن طريق القرآن الكريم.

وفي ذلك يقول ابن خلدون : "وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحق الملكات وأوضحها بيانا عن المقاصد"^١، وقد رآها ابن فارس أنها أفضل اللغات وأوسعها، إذ يكفي ذلك دليلاً أن رب العالمين اختارها لأشرف رسله وخاتم رسالته، فأنزل بها كتابه المبين. ولذلك لا يقدر أحد من التراجم أن ينقل القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزيور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية. والسبب في ذلك يعود إلى أن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب^٢.

إن اللغة العربية تعتبر أقل لغات العالم تطوراً منذ نزول القرآن الكريم، فلا توجد لغة مر عليها أكثر من ألف عام وما زال أهلها يمكنهم قراءة وفهم نصوصها بسهولة. وسوف أذكر فيما يلي بعض الخصائص التي تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات، وهي :

(١) الخصائص الصوتية :

^١ عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة، بيروت : دار إحياء التراث العربي، د.ت.، ٥٤٣/١.

^٢ أحمد بن فارس، الصحاح في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، القاهرة، ١٩١٠م، ص ١٣

إذا نظرنا من وجهة نظر أو مقياس جهاز النطق وجدنا أن اللغة العربية تملك أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات، حيث تتوزع مخارج الحروف بين الشفتين إلى أقصى الحلق. وقد تجد في لغات أخرى غير العربية حروفاً أكثر عدداً ولكن مخارجها محصورة في نطاق أضيق ومدرج أقصر، كأن تكون مجتمعة متكاثرة في الشفتين وما والاهما من الفم أو الخيشوم في اللغات الكثيرة الغنة (الفرنسية مثلاً)، أو تجدها متزاحمة من جهة الحلق.

وإن اللغة العربية تستخدم هذا الجهاز استخداماً تاماً ولا تحمل وظيفة واحدة من وظائفه، وتتوزع هذه المخارج توزيعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات. ويراعي العرب في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة وتوزيعها وترتيبها فيها حدوث الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي. فمثلاً: لا تجتمع الزاي مع الظاء والسين والضاد والذال. ولا تجتمع الجيم مع القاف والطاء والظاء والغين والصاد، ولا الحاء مع الهاء، ولا الهاء قبل العين، ولا الحاء قبل الهاء، ولا النون قبل الراء، ولا اللام قبل الشين.

وأصوات العربية ثابتة على مدى العصور والأجيال منذ أربعة عشر قرناً. ولم يُعرف مثل هذا الثبات في لغة من لغات العالم في مثل هذا اليقين والجزم. إن التشويه الذي طرأ على لفظ الحروف العربية في اللهجات العامية قليل محدود، وهذه التغيرات مفرقة في البلاد العربية لا تجتمع كلها في بلد واحد. وهذا الثبات، على عكس اللغات الأجنبية، يعود إلى أمرين: القرآن، ونزعة المحافظة عند العرب.

وللأصوات في اللغة العربية وظيفة بيانية وقيمة تعبيرية، فالعين تفيد معنى الاستتار والعينية والخفاء كما نلاحظ في: غاب، غار، غاص، غال، غام. والجيم تفيد معنى الجمع: جمع، جمل، جمد، جمر. وهكذا.^١

ومن منطلق هذا الثراء الصوتي للغة العربية أدرك الخبراء والمعلمون أن للحروف في اللغة العربية مخارجها الدقيقة، وأن كثيراً ما يقع الخلط والخطأ في نطقها ويشيع ذلك في الحروف المتقاربة المخرج، ولا بد على معلمي اللغة العربية أن يعالجوا ذلك من خلال

^١ أوريل بحر الدين، المرجع السابق، ص ١٨

أداءهم للكلمات والحروف حتى يقلدهم التلاميذ تقليدا صحيحا، واستخدام التدريبات الصوتية اللازمة للتلاميذ.^١

فالخصائص الصوتية يشترك فيها جميع اللغات، ولكنها في اللغة العربية لها قيمتها الخاصة، حيث الاهتمام الأكثر بها من قبل العلماء العرب، وكان للعرب والمسلمين السبق والريادة في الرعاية للجانب الصوتي.^٢

(٢) خصائص الاشتقاق :

الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات بل مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسر وقبائل. ولل كلمة جسم وروح، ولها نسب تلتقي مع مثيلاتها في مادتها ومعناها : كتب - كاتب - مكتوب - كتابة - كتاب، فتتشرك هذه الكلمات في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها. وهذا النوع من مميزات اللغة العربية يسمى بالاشتقاق.

فالاشتقاق في اللغة العربية توليد لبعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، والاشتقاق يمكن الفرد من التعبير عن الجديد من الأفكار والمستحدث من وسائل الحياة، فنستخدم الفعل الثلاثي ونجري قواعد الصرف فيها، ويكثر فيها اختلاف الحركة في أواخر الكلمات اتباعا لموقعها من الجملة المفيدة.^٣

وبعنى الاشتقاق أيضا أخذ كلمة من كلمة أخرى، مع المحافظة على قرابة بينهما، لفظا ومعنى. فإذا أخذنا كلمة "كتب" واشتققنا منها : كاتب، وكتاب، ومكتبة، ومكتوب، وجدنا أن الحروف الأصلية موجودة في كل كلمة من هذه الكلمات، وأن معنى مشتركا يجمع بينها، وهو الكتابة. وعلى عكس اللغة الإنجليزية، حيث توجد في كثير من الأحيان أية صلة ما بين كلمات الأسرة الواحدة، فكاتب في الإنجليزية writer، وكتاب

^١ محمد بن إبراهيم الخطيب، المرجع السابق، ص ١٠

^٢ محمد محمد داود، المرجع السابق، ص ٤٦

^٣ محمد بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٢

book، ومكتبة library، ومكتوب leter، ويلاحظ أن لا علاقة بين حروف هذه الكلمات.

وهذا ما جعل اللغة الإنجليزية تختلف من جيل لآخر، ولا توجد تلك الصلة اللغوية بين ماضيها وحاضرها، كما هو الحال في اللغة العربية. فلغة شكسبير، وهو من أدباء القرن السابع عشر لا تكاد تفهم عند كثيرين من المثقفين اليوم إلا المتخصصين في الأدب الإنجليزي.^١

(٣) خصائص الإعراب :

فالإعراب من خصائص اللغة العربية، وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ويعرف الفاعل من المفعول، ولولاه ما ميز المضاف من المنعوت ولا تعجب من استفهام ولا نعت من توكيد^٢. فحركات الإعراب ليست حلية زائفة، إذ هناك ارتباط وثيق بين الإعراب والمعنى، فنجد أحيانا أن المعنى يتوقف على الإعراب، فعلى سبيل المثال في قوله تعالى : "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"^٣، وقوله : "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَّبُّهُ"^٤، وقوله : "إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ"^٥. فإن إغفال الإعراب في مثل هذه الآيات يوقعنا في تحريف لمعانيها.

ولا تقتصر وظيفة الإعراب على أواخر الكلمة فحسب، بل تشمل أولائها وأواسطها أيضا، مثل : أَكَلٍ- أَكَلَ، سَرَقَ- سَرِقَ، نَعَمْ - نَعَمْ^٦. فالعرب يفرقون بين

^١ نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تديسها، بيروت : دار النفائس، ١٩٩٨م، ص٤٣

^٢ ابن فارس، المرجع السابق، ص٤٢

^٣ سورة فاطر : ٢٨

^٤ سورة البقرة : ١٢٤

^٥ سورة التوبة : ٣

^٦ نايف معروف، المرجع السابق، ص٤٥

المعاني بالحركات، يقولون : "مِفْتَح (بكسر الميم) للآلة التي يفتح بها، ومَفْتَح (بفتح الميم) لموضع الفتح.^١

(٤) خصائص الترادف :

الترادف يعني تعدد الألفاظ لمعنى واحد أو تعدد المعاني لفظ واحد، والأسباب الحقيقية لكثرة المفردات والمترادفات في اللغة العربية هي :

- إن احتكاك لغة قريش بلجات العربية قد نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات هذه اللهجات وانتقل كذلك كثيرا من المفردات التي لم تكن في حاجة إليها.

- إن جامعي المعجمات لم يأخذوا عن قريش وحدها بل أخذوا عن قبائل أخرى، فاشتملت المعجمات على مفردات لم تكن مستخدمة في لغات قريش ويوجد لمعظمها مترادفات في متن هذه اللغة الأصلي وقد دونوا كلمات كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال.

- إن الأسماء الكثيرة التي يذكرونها للشيء الواحد ليست جميعها في الواقع أسماء، بل معظمها صفات مستخدمة استخدام الأسماء، فالهندي والحسام والقاطع من أسماء السيف يدل كل منها في الأصل على وصف خاص مغاير لما يدل عليه الآخر.

- إن الألفاظ التي تبدو مترادفة هي في الواقع غير مترادفة، بل يدل كل منها على حالة خاصة تختلف على الأخرى، فمثلا : رفق و لحظ و رنا، كل واحدة منها تدل على ما لا تدل عليه غيرها. فرفق تدل على النظر بمجامع العين، ولحظ تدل على النظر من جانب الأذن ورنا تفيد إدامة النظر في سكون. ويمكن أن تعرف هذه الاختلافات في المعنى من خلال البحث في المعاجم، ولذلك هناك بعض العلماء من ينكر إثبات الترادف.^٢

^١ المرجع نفسه، ص ٣٩

^٢ محمد بن إبراهيم الخطيب، ص ١١

(٥) خصائص السهولة :

إن من خصائص اللغة العربية السهولة، فهي هجائية في كتابتها، فيسهل إملاؤها، وغير الهجائي فيها يخضع لقواعد قياسية ثابتة. أما الإنجليزية فلا تكتب كما تنطق، فهناك الحروف الزائدة في كثير من الكلمات، حتى أن متعلم هذه اللغة يضطر إلى حفظ الكلمات وحفظ صورتها في الرسم. وهذا الأمر لا يقتصر على اللغة الإنجليزية فحسب، بل ينطبق على الفرنسية والألمانية وغيرهما من اللغات الأخرى.

وتتجلى سهولتها أيضاً في تصريف أفعالها الثلاثة، وهي تقتصر على : الماضي، والمضارع، والأمر، بينما تبلغ الصور التصريفية لأفعال اللغة الفرنسية خمس عشرة صورة، منها خمس للماضي وحده.^١

ثم إن دعوى صعوبة اللغة العربية غير مقبولة، لأن تلك الدعوى نتيجة تكوين الرأي العام من قبل أعداء اللغة العربية، فهم يجتهدون في تصوير صعوبة اللغة العربية بالأشكال والوسائل المتنوعة، حتي تتصور تلك الصعوبة لدى المجتمع، وحتى يتعد الناس عنها وعن تعلمها، ومن هنا يتعدون عن تعلم لغة القرآن وفهمه.

رابعا : بعض أثر القرآن الكريم في اللغة العربية.

إن الحديث عن القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية حديث شيق يبعث الاعتزاز في النفس بأفضل القرآن الكريم واللغة العربية، وقد اختار الله تعالى لكتابه أفصح اللغات فقال تعالى: "إنا جعلناه قرآناً عربياً"^٢، وقال تعالى: "نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"^٣، وقال تعالى: "قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون"^٤. ومن الأدلة التي تؤكد وجود أثر القرآن الكريم في اللغة العربية قوله تعالى : "إنا

^١ نايف معروف، المرجع السابق، ص ٩٤

^٢ سورة الزحرف: ٣

^٣ سورة الشعراء: ١٩٥

^٤ سورة الزمر : ٢٨

نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"^١ فبحفظ الله تعالى كتابه يحفظ اللغة العربية، فهي باقية ببقائه إلى يوم الدين، ويمكننا ذكر أهم ما أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية من آثار فيما يلي:

(١) المحافظة على بقاء اللغة العربية :

إن السر الكامن وراء خلود اللغة والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له من أثر بالغ في حياة الأمة العربية، وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن، يدافع عنها.

فلما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لا جرم أن المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا أن كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية، وأن النيل من اللغة العربية هو نيل من القرآن، ولذلك فإن بقاء اللغة العربية إلى اليوم وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن، لأن الدفاع عنه يستتبع الدفاع عنها لأنها السبيل إلى فهمه، بل لأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام دين الله، وأن القرآن من عند الله لا من وضع النبي وأصحابه. فالقرآن الكريم بحكم إنه لسان الإسلام الناطق ومعجزاته الباقية، هو الذي حفظها من الضياع.^٢

وإذا قرأنا التاريخ، وجدنا أن هناك أمم كثيرة مضت، ولتلك الأمم لغات سايرت حياتها الاجتماعية والسياسية جنباً إلى جنب. وكان تلك اللغات مرآة تنعكس عليها

^١ سورة الحجر : ٩

^٢ أوريل بحر الدين، المرجع السابق، ص ١٧١

صور وجودها وألوان حياتها، فرقيت برقيها، وضعفت بضعفها، ثم أصبحت يعرفها التاريخ أن عفت آثاره ودرست معالمه، فملا يدركه الناس عن طريق وجود قائم، وإنما يدركونه من طريق تاريخ متحدث. ويبدو هذا الأمر واضحاً لمن تتبع اللغات وما تعرضت له من انقسام وانشطار واندثار بعد أن كانت لغة عالمية محكية وصناعية، وليست اللغة اللاتينية عنا ببعيدة فقد كانت لغة وحضارة وسطوة وقوة فبقيت أثراً بعد عين.

وعلى العكس من ذلك فإن اللغة العربية لم تكن لها هذه القوة وهذه المنعة، وليست لغة حضارة وصناعة، إنما كانت لغة صحراء وأمية، بكل ما تفرضه بيئة الصحراء من بساطة وضيق عيش، وبعد عن العلوم والمعارف، ثم إن العرب قد تعرضوا للحروب والدمار كغيرهم، ولكن ما زالت لغتهم قوية ساطعة تنبض بالحياة والنشاط، وما ذلك إلا بفضل القرآن الكريم، الذي تكفل الله بحفظه، فحفظ به اللغة التي نزلت به، ولم يتكفل بحفظ غيره من الكتب المقدسة فبادت اللغة التي نزلت فيها واندثرت.

(٢) تقوية اللغة العربية واستقرارها :

منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والاقتراس منها مناط العز والفخار، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال، وفي هذا يقول العلامة الراجعي رحمه الله: "نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرج من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك، لأنه صفى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب، ثم هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما

ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهراً لا يقضى العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته...^١.

هذا ما عبر به إمام العربية الرافعي رحمه الله، وليس هو فحسب، بل اعترف أعداء العربية من المستشرقين وغيرهم بقوة اللغة العربية وحيويتها وسرعة انتشارها، فيقول "أرنست رينان": "من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سلسلة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغيير يذكر، حتى إنه لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى..."^٢.

ويقول بروكلمان: "بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل رفيعاً فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى التي تنطلق بها شعوب إسلامية"^٣.

ومما لا شك فيه أن اعتراف أمثال هؤلاء، لا يقوي من وضع اللغة العربية أو يأخذ بيدها إلى الرفعة، وإنما ذكرنا أقوالهم لنبين أن الفضل ما شهدت به الأعداء.

^١ الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط ٢، بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م، ٢ / ٧٤

^٢ أنور الجندي، اللغة العربية بين حمايتها وخصوصيتها، بيروت : مطبعة الرسالة، ص ٢٥.

^٣ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١ / ٢٣.

وكما منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقيا، فإنه قد جعلها مستقرة أيضا رغم أن التطور سنة جارية في كل اللغات. فاللغة العربية ظلت محتفظة لكل مستوياتها اللغوية (الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية)، وأما ما تطور منها كان في إطار المعاني الأصلية وعلى صلة بها.^١

ومما يدل على استقرار اللغة العربية، أنها رغم مرور أربعة عشر قرنا، لا يمكن الإنسان يجد صعوبة في فهم نصوص القرآن والسنة النبوية، وتصادفه غرابة في الألفاظ. ثم إن مزية استقرار اللغة العربية التي تفردت بها عن سائر اللغات التي تغيرت وتبدلت تغيرا وتبدلا يؤدي بنا إلى التساؤل عن سبب هذه المزية، ولن نجد سببا مقنعا لهذه المزية إلا أنها أثر من آثار القرآن الكريم.^٢

(٣) توحيد لهجات اللغة العربية :

إن اللغة العربية كانت لها لهجات مختلفة، تحتوي على الفصح والأفصح، والرديء والمستكره، وكانت القبائل العربية معتدة بلهجتها حتى إن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف من أجل التخفيف على العرب في قراءته وتلاوته، ولا شك أن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة والبلاغة، ولذلك نجد عثمان رضي الله عنه قد راعى هذا الجانب في جمعه للقرآن، وقال للجنة الرباعية : "إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلغتهم" وما ذلك إلا لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها، وكانت تحتوي على أكثر لغات العرب، ونظراً لكونهم مركز البلاد وإليهم يأوي العباد من أجل الحج أو التجارة، فقد كانوا على علم بمعظم لغات العرب بسبب الاحتكاك والتعامل مع الآخرين، ولكن لغتهم أسهل اللغات.

وكان من أسباب ظهور هذه اللهجات انعزال القبائل عن بعضها، وضعف وسائل الاتصال بينها، بالإضافة إلى العزل الحلقية المتصلة بالعملية اللغوية من سوء السمع وسوء

^١ محمد محمد داود، المرجع السابق ص ٢٣

^٢ المرجع نفسه، ص ٢٦

الأداء. وأوضح مثال فيما يتعلق بوجود اللهجات العربية هو ظاهرة الإمالة، وأشهر أمثلتها : "الضحى"، "سجى"، "قللى"، بإمالة الفتحة الأخيرة إلى كسرة، والألف التي بعدها إلى ياء في الأمثلة السابقة.

ومن البقايا اللهجية ما يسمى بطمطمانية وهي لهجة أهل حمير، حيث كانت تنطق "ام" بدلا من "ال" للتعريف في صدر الكلمة. ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس من البر الصيام في السفر"^١. ولكن هذا الحديث يروى قاله الرسول صلى الله عليه وسلم باللهجة الطمطمانية وهي : "ليس من امبر امصيام في امسفر".

ولقد أدى اختلاف هذه اللهجات وتباعدها إلى صعوبة الفهم بين القبائل، ويشهد لذلك قول علي رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سمعه يخاطب بني نهد فيمن وفد عليه من قبائل العرب عام الوفود : يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لم نفهم أكثر. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : "أدبني ربي فأحسن تأديبي"^{٢.٣}

وواضح من الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلسانهم، حتى يفهموا.

(٤) جعل اللغة العربية لغة عالمية :

اللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، والعرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن ويذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبحر إلا لتعود إليها. والأمة العربية في ذاك الوقت لم تكن

^١ رواه البخاري حديث رقم (١٩٤٦) ومسلم حديث رقم (١١١٥)

^٢ فيض القدير على الجامع الصغير، ٢٣٥/١

^٣ محمد محمد داود، المرجع السابق، ص ٢٥٠٢٦

الأمة التي يغري مركزها السياسي أو الديني أو الاجتماعي بالتحبب إليها والاتصال بها. واللغة العربية نفسها لم تكن لغة علوم ومعارف.

وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، فدعا العرب إلى دعوة الآخرين إلى دينهم، ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجا على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة.^١

يقول نور الدين عتر: "وقد اتسع انتشار اللغة العربية جداً حتى تغلغلت في الهند والصين وأفغانستان، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل البخاري ومسلم، والنسائي، وابن ماجه القزويني، وغيرهم وغيرهم"^٢.

وخلاصة القول كما يقول الباقوري: "أن اللغة العربية ما كانت تطمع في أن يتعدى سلطانها جزيرتها، فتضرب الذلة على لغات نمت في أحضان الحضارة وترعرعت بين سمع المدينة وبصرها، وتستأثر دونها بالمكان الأسمى في ممالك ما كان العربي يحلم بها، فضلاً عن أن يكون السيد المتصرف فيها، ولكن القرآن الكريم انتزعها من أحضان الصحراء، وأتاح لها ملكاً فسيح الأرجاء، تأخذ منه لألفاظها ومعانيها، وأغراضها وأسلوبها، ما لم تتمكنها منه حياته البدوية، فبعد أن كانت ثروتها في حدود بيتها، أصبحت غنية في كل فنون الحياة فأقبل الناس عليها مدفوعين إلى معرفة أحكام الدين، وأداء واجبات الإسلام"^٣.

(٥) جعل اللغة العربية لغة تعليمية:

من الثابت المعروف أن العرب قبل نزول القرآن كانوا يجرون في كلامهم وأشعارهم وخطبهم على السليقة، فليس للغة تلك القواعد المعروفة الآن، وذلك لعدم الحاجة

^١ أوريل بحر الدين، المرجع السابق، ص ١٧٢

^٢ نور الدين عتر، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، جامعة دمشق، ١٩٩٢م، ص ٣٥٩.

^٣ أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، مصر: دار المعارف، ١٩٦٩م، ص ٤٩.

إليها، ولا أدل على ذلك من أن التاريخ يحدثنا عن كثير من العلماء الذين صرحوا أن لغتهم استقامت لما ذهب بهم إلى الصحراء لتعلم اللغة العربية النقية التي لم تشبها شائبة، ومن هؤلاء الإمام الشافعي، وأن الوليد بن عبد الملك كان كثير اللحن، لأنه لم يغترف لغته من الينبوع العربي الصحراوي الصافي.

ولما اتسعت الفتوح، وانتشر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا، احتك العجم بالعرب فأفسدوا عليهم لغتهم، مما اضطر حذيفة بن اليمان الذي كان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، أن يرجع إلى المدينة المنورة ويقول لعثمان رضي الله عنه: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها اختلاف اليهود والنصارى..." فأمر عثمان يجمع القرآن، وهذا ما حصل، فقد ضعفت اللغة مع مرور الأيام وفشا اللحن في قراءة القرآن، الأمر الذي أفرغ أبا الأسود الدؤلي وجعله يستجيب لوضع قواعد النحو، التي هي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات، ومن ثم العمل على ضبط المصاحف بالشكل حفاظاً على قراءة القرآن من اللحن والخطأ.^١

وليس هذا فحسب، بل يرجع الفضل للقرآن الكريم في أنه حفظ للعرب رسم كلماتهم، وكيفية إملائهم، على حين أن اللغات الأخرى قد اختلف إملاء كلامها، وعدد حروفها.

ويقول نور الدين عتر: "والسر في ذلك أن رسم القرآن جعل أصلاً للكتابة العربية، ثم تطورت قواعد إملاء العربية بما يتناسب مع مزيد الضبط وتقريب رسم الكلمة من نطقها، فكان للقرآن الكريم الفضل في حفظ رسم الكلمة عن الانفصام عن رسم القدماء"^٢.

وهكذا أصبحت اللغة العربية تكتسب بالتعلم والتعليم.

^١ صحيح البخاري ٦/ ١٨٣ - ١٨٤

^٢ نور الدين عتر، المرجع السابق، ص ٣٦١.

(٦) تهذيب اللغة العربية :

إن اللغة لأية أمة هي صورة صادقة لذوقها العام وطبيعتها، وإذا كان للبقياع تأثير في الطبع، فمما لا ريب فيه أن اللغة تتأثر كذلك حسب الناطقين بها، والعرب أمة أكثرها ضارب في الصحراء، لم يتحضر منها إلا القليل، فلا جرم كان في لغتهم الخشن الجاف، والحوشي الغريب، وقد أسلفنا عن الواسطي أن لغة قريش كانت سهلة لمكان حياة التحضر التي كانت تحياها في ذلك.

أ- ولقد نحى القرآن الكريم عن اللغة التقعر في الكلام، والغريب، والألفاظ الحوشية الثقيلة على السمع. وإن من يتأمل الأدب الجاهلي ويتدبره، يزداد إيماناً بما للحضارة من أثر ألفاظ اللغة، فإنه سيرى في أدب أهل الوبر كثيراً من مثل "جحيش" و"مستشزرات" "وجحلتج"، وما إلى ذلك مما ينفر منه الطبع، وينبو عنه السمع، على حين أنه يكاد لا يصادفه من ذلك شيء في أدب القرشيين.

ب- ولقد نحى القرآن الكريم أيضاً كثيراً من الألفاظ التي تعبر عن معان لا يقرها الإسلام، ومن ذلك :

- ١- المرباع : وهو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.
- ٢- النشيطة : وهي ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود.
- ٣- المكس : دراهيم كانت تؤخذ من بائعي السلع في أسواق الجاهلية. ومثل ذلك كثير.^١

(٧) إثراء وتنمية اللغة العربية :

لقد أضاف القرآن الكريم نموذجاً للتعبير بالعربية لم تعرفه العربية من قبل، نموذجاً له الخلود والبقاء لا تمسه يد التغير والتحريف. وقد كانت العربية قبل نزول القرآن الكريم

^١ محمد محمد داود، المرجع السابق، ص ٣٩

تُصنَّف إلى شعر ونثر، فلما نزل القرآن صارت نماذج التعبير اللغوي في العربية ثلاثة :
قرآنا وشعرا ونثرا. ولا ينبغي أن يصنَّف القرآن تحت عنوان النثر، لأن القرآن ليس بنثر، ولا
بشعر، إنه كلام رب العالمين.

كما استحدث القرآن الكريم أسماء جديدة، من ذلك ما يعرف بالألفاظ الإسلامية
التي جاءت تعبيرا عن المعاني الإيمانية الجديدة، التي لم يكن للعرب معرفة بها، ومن ذلك :

١- الإيمان : كان بمعنى التصديق مطلقا، ثم صار له المعنى الشرعي "أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".

٢- الكفر : كان بمعنى الستر مطلقا، ثم صار له المعنى الشرعي "تكذيب الرسول
صلى الله عليه وسلم في شيء مما جاء به".

٣- الصلاة : كانت بمعنى الدعاء مطلقا، ثم صار لها المعنى الشرعي المعروف.

٤- الزكاة : كانت بمعنى النماء مطلقا، ثم صار لها المعنى الشرعي "القدر الواجب
إخراجه لمستحقه في المال الذي بلغ نصابا معيناً بشروط مخصوصة".

٥- الحج : كان بمعنى القصد مطلقا، ثم صار له المعنى الشرعي "القصد إلى بيت
الله الحرام لأداء أفعال مخصوصة".

٦- المغفرة : كانت بمعنى الستر مطلقا، ثم صار لها المعنى الشرعي "الصفح والعفو".

وكذلك الألفاظ الاصطلاحية التي نشأت في رحاب العلوم الشرعية المرتبطة بالقرآن
الكريم مثل : التوحيد، والفقه، وأصول الفقه، والتفسير، والنحو، والصرف ... ولقد كان
القرآن -بحق- السبب المباشر والرئيس وراء نشأة علوم العربية وكان لكل علم من هذه
العلوم مصطلحاته الخاصة.^١

^١ المرجع نفسه، ص ٣٦-٣٧

(٨) القرآن مفجر علوم العربية :

من أجل خدمة القرآن الكريم، ومحاولة تيسير فهمه ونطقه على المسلمين الأعاجم، ولصيانته من اللحن والتحريف، قامت جهود فريدة لخدمة هذا الكتاب، فنشأت علوم لخدمة القرآن الكريم بصورة مباشرة، هي : علوم القرآن، لدراسة كل ما يتصل بالقرآن نت مكّي ومدني، وأسباب النزول، وأول ما نزل وآخر ما نزل والقراءات القرآنية ونحو ذلك.

وكما كان للمفسرين دور بارز في تفسير آيات القرآن الكريم، فقد شارك معهم اللغويون بدور مميز، حيث تناولوا لغات القرآن الكريم، من ذلك : "لغات القرآن" للأصمعي، و"لغات القرآن" للفراء. كما تناولوا غريب القرآن الكريم، من ذلك : "غريب القرآن الكريم" لابن قتيبة.

وكان للنحويين أيضا مشاركة فعالة على نحو ما نجده عن الأخفش والكسائي والفراء في مؤلفاتهم تحت عنوان : "معاني القرآن".^١

خامسا : الخاتمة.

من خلال هذه الدراسة التاريخية المتعلقة بأثر القرآن الكريم في اللغة العربية، فقد توصل الباحث إلى أهم النتائج والتوصيات التالية :

أولا : النتائج

- ١- إن حقيقة اللغة هي الكلام، وأن الصورة الصوتية المنطوقة هي المقام الأول لطبيعة اللغة. فمن الطبيعي أن تكون العناية باللغة هي العناية بالكلام.
- ٢- أن وظيفة اللغة الأساسية هي التعبير أو التواصل أو التفاهم، ويمكن تفصيلها إلى الوظيفة الاجتماعية، والثقافية، والنفسية، والعقلية.

^١ المرجع نفسه، ص ٤٠

٣- تتميز اللغة العربية بخصائص انفردت بها عن غيرها من لغات الدنيا، ومن مميزاته تتمثل في الخصائص الصوتية ولغة الاشتقاق ولغة الإعراب ولغة الترادف وأنها اللغة السهلة.

٤- لقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ اللغة العربية بحفظه للقرآن الكريم.

٥- هناك بعض أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، ومنها : المحافظة على بقاء اللغة العربية، وتقوية اللغة العربية واستقرارها، وتوحيد لهجات اللغة العربية، وجعل اللغة العربية لغة عالمية، وجعل اللغة العربية لغة تعليمية، وتهذيب اللغة العربية، وإثراء وتنمية اللغة العربية، والقرآن مفجر علوم العربية.

ثانيا : التوصيات

- ومن خلال نتائج هذه الدراسة توصل الباحث إلى التوصيات التالية :
- ١- اهتمام معلمي اللغة العربية بتعليم مهارة الكلام لأنها حقيقة اللغة، فلا يقال أن المرء عالم باللغة العربية إلا إذا كان يستطيع أن يتكلم باللغة العربية.
 - ٢- زيادة العناية باللغة العربية، وبطرق تدريسها بما يحقق الأهداف التربوية العظيمة.
 - ٣- إثارة الدافعية لتعلم اللغة العربية ونشر الدعوى بأن اللغة العربية هي اللغة السهلة.
 - ٤- أهمية إيضاح مميزات اللغة العربية للطلاب المتعلمين بما يغرس فيهم محبة اللغة العربية والعناية بتطبيقها، وتقديمها على غيرها من اللغات.
 - ٥- أهمية إظهار آثار القرآن الكريم في اللغة العربية، وأنها أصبحت لغة عالمية مثل ما شهدنا في يومنا الحاضر كل ذلك بفضل القرآن الكريم.

والله الموفق،،،

المصادر والمراجع :

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - صحيح البخاري
- ٣ - صحيح مسلم
- ٤ - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي البغدادي، الخصائص - حققه محمد علي النجار، ط٣، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- ٥ - أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، القاهرة، ١٩١٠م
- ٦ - أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، مصر : دار المعارف، ١٩٦٩م.
- ٧ - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، بيروت : دار الثقافة، ١٩٧٢م.
- ٨ - أنور الجندي، اللغة العربية بين حمايتها وخصوصيتها، بيروت : مطبعة الرسالة.
- ٩ - أوريل بحر الدين، فقه اللغة العربية، مالانق : مطبعة جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية ، ٢٠٠٩م
- ١٠ - الرافي، تاريخ آداب العرب، ط٢، بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م.
- ١١ - عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة، بيروت : دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- ١٢ - كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي.
- ١٣ - محمد بن إبراهيم الخطيب، طرائق تعليم اللغة العربية، الرياض : مكتبة التوبة، ٢٠٠٣م.
- ١٤ - محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، القاهرة : دار غريب، ٢٠٠١م.
- ١٥ - نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، بيروت : دار النفائس، ١٩٩٨م
- ١٦ - نور الدين عتر، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، جامعة دمشق، ١٩٩٢م.